

كتابة/ تصحيح الدراسات الفلسطينية

الاستعمار الاستيطاني، والسيادة الأصلانية، ومقاومة أشباح التاريخ

رنا بركات

تبحث هذه الدراسة في محدوديات التحليل القائم على أساس الاستعمار الاستيطاني في كتابة التاريخ الفلسطيني. في الوقت الذي شهد فيه العقد الماضي وفرة من التدخّلات والكتابات التي درست هذا المفهوم تحديداً، فإن هذه الدراسة تسعى إلى وضع تطور هذا المفهوم ضمن الأدبيات حول فلسطين. ومن خلال ذلك، ستصبح جدوى التحليل القائم على أساس الاستعمار الاستيطاني أكثر وضوحاً وتجدراً في الاختلافات الفكرية بين الأدبيات حول فلسطين وتلك المتعلقة بالصهيونية خطأً فاصلاً من المهم إيجاده في خضم مصفوفة العنف التي تتضمن الاستعمار الاستيطاني الصهيوني المستمر لفلسطين. تقترح هذه الدراسة ضرورة قيام الدراسات عن فلسطين بإيجاد مرجعيّتها في الدراسات الأصلانية، وتقول إنه بينما يصلح التحليل القائم على أساس الاستعمار الاستيطاني لدراسة الصهيونية كإيديولوجية والتأريخ لها، إلا أن أطر التحليل التي تستمد جذورها من الدراسات الأصلانية وتنطلق منها تشكّل إطاراً أفضل سياسياً وأكاديمياً لدراسة التاريخ الفلسطيني.

مقدمة: الاستعمار الاستيطاني في فلسطين: انتصار أو هزيمة؟

في العام 1965، أصدر مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، دراسة أعدها فايز صايغ، بعنوان: **الاستعمار الصهيوني في فلسطين**. [1] ولعل دراسة صايغ ما زالت حتى يومنا هذا الدراسة العلمية الأكثر دقة وإيجازاً حول الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، حيث تأتي دراسته من منظور فلسطيني وفي الوقت ذاته، وهو الأهم ربما، أنها كانت مدفوعة بهدف سياسي واضح وضمن إطار سياسي واضح. منطلقاً من المنظور الأممي لحركة فخرية من حركات العالم الثالث وفيه، أرسى صايغ الرواية السياسية والتاريخية للغزو الذي قام به الاستيطان الاستعماري لفلسطين. وقد تتبّع صايغ تاريخ الحركة الصهيونية وجرائمها ضد الأرض وأجساد السكان الأصليين، وسعى، انطلاقاً من إدراكه للنظام الإمبريالي، إلى تأطير أطروحاته ضمن السياق السياسي للمقاومة والتحرير.

ترجمة النص عن الإنجليزية: أريج ديبس

Rana Barakat, "Writing/righting Palestine Studies: Settler Colonialism, Indigenous Sovereignty and Resisting the Ghost(s) of History," *Settler Colonial Studies*, Vol. 8, No. 33 (2017): 349 - 363.

بعد خمسة عقود [من الاستعمار الصهيوني في فلسطين]، نشهد تنامياً مضطرباً في الأدبيات العلمية التي تبحث في الصهيونية وتحللها ضمن إطار الاستعمار الاستيطاني، وقد أوضحت هذه الظاهرة إحدى مدارس التحليل القائمة وواسعة الانتشار. [2] لا يعتبر هذا التوصيف أو التحليل جديداً على الأدبيات التاريخية الفلسطينية، ولكن يُنظر إلى هذه الموجة الأخيرة من الدراسات على أنها نوع جديد من الأبحاث والدراسات العلمية. وقد ظهر بالتزامن مع هذه الدراسات الأخيرة التي تعتمد هذا الإطار التحليلي، أعمال ودراسات تنتقد استخدام هذا الأسلوب التحليلي، أي التوظيف الفعلي لإطار الاستعمار الاستيطاني فيما يتعلق بفلسطين و"إسرائيل". ونظراً لكم الكبير من الدراسات حول هذا الموضوع، فإنني لا أدعي بأنني أقوم بإعادة صياغة هذه الأعمال بشكل مختلف أو حتى الإضافة لها. [3] لكنني، وبروح الدراسة التي أعدها صايغ، أود أن أطرح هنا السؤال التالي حول محاور البحث هذه: كيف يمكن للتحليل القائم على أساس الاستعمار الاستيطاني أن يصبح جزءاً من أسلوب بحث علمي سياسي بالدرجة الأولى كشكل من أشكال المقاومة الأصلانية في فلسطين؟

ولأغراض فهم التعقيدات التي ينطوي عليها مثل هذا السؤال، سأستعرض نقدي لبعض القضايا الأساسية المهمة حول استخدام التحليل القائم على الاستعمار الاستيطاني في فلسطين، مبيّنة كيف أنه، وبغض النظر عن الدوافع والنوايا، فإن هذا الاستخدام يمكنه، بل إنه أفضى فعلاً إلى، قراءة سردية الخاصة بفلسطين ومركزها الصهيونية. انطلاقاً من هذه النقطة، تبحث هذه الدراسة بعد ذلك في إمكانية فهم حالة الأصلانية الفلسطينية (الأمر الذي يتضمّن قراءة للاستعمار الاستيطاني ضمن السردية الفلسطينية). ولا شك أن هذه المقاربة تفسح لنا المجال للنظر إلى الفلسطينيين كصانين للتاريخ الفلسطيني بدلاً من النظر إليهم كجزء من السردية الصهيونية.

يجادل لورنزو فيراتشيني، أحد أكثر الباحثين الأكاديميين إنتاجية ضمن إطار الدراسات الاستعمارية الاستيطانية عن فلسطين و"إسرائيل"، بأن إحدى الفوائد العظيمة لتوظيف هذا الأسلوب من التحليل تكمن في صيغة الأفعال. [4] دعا باتريك وولف، وهو المعروف بتدخلاته السابقة حول صيغ الفعل، [5] إلى فهم أعمق وأكثر نقدياً لصيرورة الاستعمار الاستيطاني وهيكلته إن أردنا أن نفهم بشكل أفضل أفعال الصهيونية ونبّاتها في فلسطين. [6] وقد نجح كل من وولف وفيراتشيني، من منظوريهما الخاصين في فهم الاستعمار الاستيطاني، بالوصول إلى فهم أعمق للدعوات الصهيونية بالأصلانية. وقد رفض كلاهما، بوضوح وثبات، هذه الادعاءات، كما شكّلت كتابتهما أكثر المراجع التي يتم الإشارة لها والاقتراس منها من قبل الموجة الأخيرة من توظيف الإطار التحليلي القائم على أساس الاستعمار الاستيطاني لفهم الحالة في فلسطين.

في مقاله بعنوان "التحوّل الآخر: الاستعمار الاستيطاني، وإسرائيل، والاحتلال" حول الاستعمار الاستيطاني في فلسطين، يحاول فيراتشيني أن يطرح تقسيماً معيناً أرغب في تفنيده. [7] يتتبع فيراتشيني التاريخ الصهيوني لإيجاد لحظة انقطاع في الاستعمار الاستيطاني بين العامين 1948 و1967، ويؤكد بشكل خاص بأن "حدود" الـ 1948 هي حالة واضحة للاستعمار الاستيطاني بينما شكّلت الأراضي المحتلة في العام 1967 برأيه "فشلاً" للمشروع الاستيطاني الاستعماري الصهيوني. يرى فيراتشيني، بشكل خاص، أن احتلال الأراضي الفلسطينية بعد العام 1967 "يتضمّن انتقالاً من نظام علاقات يمكن فهمه من منظور الاستعمار الاستيطاني إلى نظام علائقي يتصف بشكل أساسي بصفات وأشكال استعمارية." [8] بموجب هذا التحليل، فإن الفرق الذي أحدثته حرب العام 1967 تمثّل في انتقال المشروع الصهيوني من فكرة القضاء على الشعب

الأصلي للبلاد بأكمله إلى إحكام السيطرة على من تبقى منهم. ويدّعي فيراتشيني بأن النموذج "الكلاسيكي" للاستعمار الاستيطاني، أي ذلك النموذج الذي يتم فيه تقليص عدد السكان الأصليين إلى فئات صغيرة متبقية يسهل السيطرة عليها، لا ينطبق على الوضع في أراضي الـ 1967 كما "هو الحال"، بحسب اعتقاده، في ذلك الجزء من فلسطين الذي تم احتلاله في العام 1948. [9] تدفعني إشكالية مثل هذا الاستنتاج إلى تحديّ قراءة فيراتشيني وفهمه للاستعمار الاستيطاني والمشروع الصهيوني. فكيف يمكننا اعتبار الفلسطينيين في الأراضي المحتلة في العام 1967 أنهم خارج المشروع الاستعماري الاستيطاني؟ وربما الأكثر من ذلك، ولكون فيراتشيني يتطرق للمشاريع الاستعمارية الاستيطانية بمصطلحات من قبيل "النصر"، تأتي بعض التقسيمات البلاغية التي يستخدمها وكأنها انعكاس للغزو الصهيوني الاستيطاني وتقترب بشكل مخيف من الروايات والسرديات الصهيونية التي تتعامل مع أراضي الـ 1948 والـ 1967 على أنهما منطقتان منفصلتان ومختلفتان لا كجزء من كل فلسطين حتى وإن كانت مقسّمة ومذررة نتيجة للعنف الذي تمارسه "إسرائيل". وفي حقيقة الأمر، يبدو فيراتشيني من خلال استخدامه لهذا التقسيم، وكأنه يتجاهل عنصراً أساسياً في فهم سياق الاستعمار الاستيطاني، ألا وهو ديمغرافيا الإقصاء والتطهير التي ما زالت قائمة في كافة الأجزاء المقسّمة لفلسطين. إذ لا تكمن القضية هنا في عدم وجود أهداف للاستعمار الاستيطاني في الضفة الغربية وقطاع غزة، بل إن السياق والواقع بكل بساطة هو المختلف، وذلك تحديداً نتيجة للعدد الهائل من الفلسطينيين الذين ما زالوا موجودين. وبالتالي، فإن أساليب وأدوات القضاء على [المستعمرين] تختلف، ولكّنها تظلّ وفقاً للنظريات التي وضعها وولف تشكل "إبادة جماعية بنيوية."

كيف يمكننا إذن ألا ننظر إلى ممارسات "إسرائيل" وإجراءاتها في كافة المناطق في فلسطين، حتى وإن تنوعت في أساليبها، سوى كونها تشكّل جزءاً لا يتجزأ من بنى الاستعمار الاستيطاني؟ كيف يمكن للفلسطينيين أن يعتبروا أي جزء من الاستعمار الاستيطاني الصهيوني نجاحاً، وبالتالي نهاية للرواية الخاصة بهم؟ إن النداعيات والآثار المترتبة على "انتصار" الاستعمار الاستيطاني كبيرة جداً: فهي تعني نهاية السردية الفلسطينية المستمرة وحاضر الفلسطينيين ومستقبلهم. كما أن سعي الصهيونية نحو تأصيل ذاتها واعتبار نفسها حالة أصلانية في البلاد قد تجلّى بشكل العنف الممارس ضد الشعب الفلسطيني في هذه المناطق والتقسيمات الجغرافية كافة. يقول فيراتشيني: "من الناحية النظرية، هناك فرق أساسي بين الاستعمار والاستعمار الاستيطاني كأشكال وتجليات منفصلة ألا وهو أن الاستعمار يهدف إلى الحفاظ على نفسه والبقاء بينما الاستعمار الاستيطاني يهدف إلى إحلال نفسه مكان الآخر، وهو فرق بالغ الأهمية. فالمجتمع الاستعماري يكون ناجحاً فقط إذا حافظ على الفصل بين المستعمر والمستعمر، بينما في المشروع الاستعماري الاستيطاني، فإن النجاح يكمن في إنهاء المجتمع الاستعماري نفسه، أي أن يتوقف عن تعريف المستعمر المستوطن بهذه الصفة بأن يصبح "الشعب الأصلي" للبلد وأن يتم تطبيع مكانته." [10]

ولكن هل يصبح المستوطنون يوماً أصلانيين؟ من منظور سياسي أصلائي، فإن النفي المطلق هو الإجابة الواضحة والقاطعة. [11] وعلى الرغم من أن فيراتشيني لا يدّعي بأن المستوطنين الصهاينة قد نجحوا في أن يصبحوا أصلانيين بشكل كامل، إلا أنني أجادل بأن المقاربة الفعلية أو النموذج المستند إلى النجاح والهزيمة هو نموذج مستمد (بشكل مباشر أو غير مباشر) من رواية المستوطنين أنفسهم. وحتى لو أنه بالإمكان فهم تحليل فيراتشيني على أنه محاولة لرؤية فشل وخلل في المشروع الاستعماري الاستيطاني

الصهيوني ووعدهم بمحتمل بتقرير المصير الفلسطيني، إلا أنه يظل قاصراً عند النظر إليه من منظور الشعب الفلسطيني الذي يصرُّ على السيادة الوطنية على أرض فلسطين كافة. ومن هنا، فإن هذا التوصيف المتعلقُ بثنائية الهزيمة والنجاح قد لا يشكّل التوظيف الأفضل للتحليل القائم على أساس الاستعمار الاستيطاني. تدفعني هذه الإشكالية بدورها إلى طرح سؤال حول الكيفية التي يمكن فيها لدراسة السردية الفلسطينية الأصلانية للتاريخ أن تكشف شيئاً مختلفاً على المستويين المعرفي والتاريخي.

"الانتصار" كهزيمة للحالة الأصلانية

إن إعادة إنتاج نموذج النجاح والهزيمة هو تماماً ما قام به باحثون آخرون في محاولة دراسة الاستعمار الاستيطاني كأداة للتحليل المقارن في فلسطين. ففي دراسته المنشورة [في العام 2015]، يسعى نديم روحانا لدراسة الاستعمار من خلال هذا النموذج. وتشكّل المفاهيم التي يطرحها حول "المواطنة" الاستعمارية الاستيطانية وتفسيره لقومية أهل الوطن، كشكل رئيسي للمقاومة الفلسطينية في مواجهة عنف الاستعمار الاستيطاني، تفسيرات جديدة وضرورية وجريئة للاستعمار الاستيطاني الصهيوني والمقاومة الفلسطينية. [12] لكنَّ روحانا يؤطّر نقاشه حول الاستعمار الاستيطاني ضمن نموذج مثير للفضول، إذ يقول: "إن نقطة الانطلاق بالنسبة لي تفسر نظرياً الصهيونية ودولة إسرائيل من خلال إطار الاستعمار الاستيطاني، ولكن ليس بصفته مشروعاً استيطانياً 'منتصراً'". [13] ولأغراض تطوير فكرة هذا التمييز بين الانتصار والفشل، يرجع روحانا إلى عمل محمود ممداني حول تاريخ العرق والغزو في الولايات المتحدة الأمريكية لتحديد قراءته الخاصة بأصول الاستعمار الاستيطاني وأطره. ويدّعي ممداني، وهو المسكون بشكل كبير بقضية الليبرالية في الولايات المتحدة الأمريكية، بأن المؤرخين قد أغفلوا القضية الأصلانية: "على عكس كل الاستثناءات وعمليات الإقصاء الأخرى، سواء تلك المتعلقة بالإنثية أو العرق أو النوع الاجتماعي، فإن القضية الأصلانية من شأنها أن تشكّل تحدياً أكثر مركزية فيما يتعلق بالاحتفاء بالمواطنة في أمريكا، لأن التعامل مع القضية الأصلانية يتطلب طرح أسئلة حول الأخلاقيات والسياسات التي ينطوي عليها دستور الولايات المتحدة الأمريكية بحدّ ذاته. وهذا يتطلب إعادة التفكير وإعادة النظر في المشروع السياسي نفسه المسمّى الولايات المتحدة الأمريكية. في الواقع، فإن طرح هذه القضية من شأنه أن يستدعي ويعالج الهوية المناهضة للاستعمار التي تدّعيها الولايات المتحدة الأمريكية. إن تسليط الضوء على الطبيعة الاستعمارية للمشروع السياسي الأمريكي يتطلب تغييراً في النموذج والنمط المتبع في فهم أمريكا، تغييراً يعتبر ضرورياً ويجب التفكير فيه سواء حيال موقع أمريكا في العالم أو وتيرة الإصلاح السياسي الضروري لصالح الأجيال المستقبلية". [14] وبما أن الأسطورة المترافقة مع تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية هي رواية تضع المستوطن في مواجهة سكان البلاد الأصليين بصفته منافسة بين الحضارة والتوحش، [15] فقد تم تطبيع عملية استثناء السكان الأصليين من النقاشات حول حقوق المواطنة. [16]

وضمن هذا الإطار، يستند ممداني أيضاً إلى نموذج الانتصار والفشل. وبغض النظر عن جدوى المقارنة التي عقدها بين الولايات المتحدة الأمريكية والاستعمار الاستيطاني "الإسرائيلي"، فإن استخدامه البلاغي لهذا النموذج يؤدي بطريقه إشكالية إلى إدامة هذا التقسيم الزائف بين الانتصار والهزيمة، وذلك بالطريقة نفسها تقريباً التي يطرحها فيراتشيني بهذا الصدد. وبعد زيارة إلى جامعة بيرزيت في فلسطين المحتلة في العام 2005، عاد ممداني على طرحه قائلاً: "مقتنعاً بأن نموذج الأبارتهايد في جنوب أفريقيا

لم يكن العدسة الملائمة التي يمكن من خلالها فهم إسرائيل، أعتقد بأن أمريكا الاستيطانية تشكل مقارنة أكثر وضوحاً. وكما هو الحال في أمريكا الشمالية، فإن المستوطن في إسرائيل غير مهتم بالفلسطينيين كمصدر للعمالة، فهذا المستوطن يريد أرضهم. ولطالما استلهم الصهاينة في إسرائيل تجربة أمريكا في تطهير الأرض من الهنود." [17] وبالفعل، فقد شكّل العنف القائم على الإبادة الجماعية الذي استمر في الولايات المتحدة ضد الشعوب الأصلية نموذجاً للصهاينة في فلسطين. يقول ممداني بذكاء إن الاستعمار الاستيطاني في كلتا الجغرافيتين أتى محمولاً على معنى الحق الإلهي.

وبقدر ما تبدو آراء ممداني واضحة جداً في هذا السياق، فإن نقطة انطلاقه (تلك النقطة التي ارتكز عليها روحانا في تطهير تحليله) تبدو أقل إقناعاً. إن محدودية هذا التماثل بالنسبة لممداني مرتبطة بالوقت المعاصر، أي أن القضاء على السكان الأصليين حصل (بصيغة الماضي) في الولايات المتحدة الأمريكية، فهو "قصة مكتملة المعالم" لها نتائج معروفة حيث يتم تذكار الشعوب الأصلية (إن تم تذكارهم أصلاً) فقط من خلال موتهم والقضاء عليهم تماماً في نهاية المطاف. وإذا ما استثنينا الاختلاف الواضح من ناحية ديمغرافية (والذي يديم فكرة نجاح المستوطن)، فإن أسلوب الغزو ودفاعه في المنطقتين هما مرگبان في بنية المشروع الاستعماري الاستيطاني لأوروبا المعاصرة، وإن باعد بينهما أكثر من قرن من الزمان، وهما مستمران حتى يومنا هذا، ولا يختلف أحدهما عن الآخر، اللهم بالتفاصيل.

وعلى الرغم من أن ممداني لم يُسقط تماماً حضور القضية الأصلية واستمرارها في الولايات المتحدة الأمريكية في وقتنا هذا، إلا أنه يتحدى قراءه أن يتخيّلوا عملية تفكيك الاستعمار في أمريكا وكيف يمكنها أن تتم. ولعل الفرضية أو الإشكالية التي يطرحها ممداني هنا تتمثل في تقصّي أصول الدولة الحديثة وهيكلاتها ومؤسساتها. وكوسيلة لخلق الوعي والتصالح مع قضية الأصول فيما يتعلق بمجتمع المستوطن "النجاح"، يتم إحالة دور الشعب الأصلي إلى رمزية، بحيث يصبح وسيلة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من أخلاقيات المستوطن من خلال إنشاء مجتمع ديمقراطي. لا يتعلّق النقاش الأخلاقي هنا بإعادة الأراضي إلى أصحابها الأصليين، ولا يدور الحديث حتى حول الاعتراف بحقوقهم، بل ينحصر في قيام الدولة بجرد حساب حيال ماضيها الدموي من أجل تأسيس مجتمع استيطاني "أكثر عدالة". ومع ذلك، لماذا يظل دور الشعب الأصلي هنا رمزياً فحسب؟ ولماذا، وهنا يبرز السؤال مجدداً، تظل الرواية محصورة في المستوطن أو حوله؟

وعلى الرغم من أن عقد مقارنات بين مواقع مختلفة للاستعمار الاستيطاني يبدو حقلاً غنياً ومتنامياً، إلا أنه من الواضح أن التركيز على انتصار المستوطنين أو هزيمة السكان الأصليين غير صحيح من ناحية تاريخية وغير مجدٍ من ناحية سياسية. لكن الأمر هنا لا يتعلّق بالمصطلحات فحسب بل يتعدّها إلى ما هو أهم، أي السياسة على شكل مشروع سياسي وأهداف العدالة الاجتماعية والتحرر، وعندها يصبح توظيف التحليل القائم على دراسات الاستعمار الاستيطاني ضمن الإطار الأوسع لحالة الأصلية ومفهومها مشروعاً سياسياً جماعياً بالنسبة لنا. وبكلمات بسيطة، يمكن للباحثين هنا أن يوظفوا الاستعمار الاستيطاني كنموذج تحليلي مفيد ضمن المشروع الأكبر المتمثل في الدراسات عن الأصلية. فمن هذا المنظور، يمكن للتحليل المقارن أن يصبح مشاريع سياسية مشتركة، حيث لا تعتبر القراءة وإساءة القراءة للنصر والهزيمة مجدبة ولا حتى دقيقة بشكل كامل، وحيث الاختلاف في السياق أو المواقع المحددة من شأنه أن يفضي إلى مشروع سياسي مشترك أفضل. وبدون هذه الرؤية السياسية، تصبح قضية النصر وهزيمة الآخر التي تشغل بال

الكثيرين ممن يستخدمون أطر التحليل الخاصة بالاستعمار الاستيطاني مضلّة (حتى وإن بدا ذلك دون قصد) ومرتبطة بتحليل اختزالي لا يفي الواقع حقه.

الاستعمار الاستيطاني أساساً للدراسات الصهيونية/ "الإسرائيلية"

في العام 2015، نشر غابرييل بيتربيرغ تحليلاً مفيداً وشاملاً حول الأدبيات المتزايدة المتعلقة بالاستعمار الاستيطاني كإطار تحليلي في الوضع المتعلق بفلسطين و"إسرائيل". يتتبع بيتربيرغ أعمال عالم الاجتماع "الإسرائيلي" غيرشون شافير وأثره كجزء من "مراجعة منفصلة للأبحاث" الإسرائيلية" يقوم من خلالها "بفحص أثر التواجد المتنامي لنموذج الاستعمار الاستيطاني على الدراسات والأبحاث الإسرائيلية". [18] بكلمات أخرى، يقوم بيتربيرغ، كما فعل من سبقوه، بالتركيز على تطور إطار الاستعمار الاستيطاني في دراسة الصهيونية/"إسرائيل"، وهو الأمر المنطقي تماماً لأن بيتربيرغ يركّز على الأكاديميا "الإسرائيلية" في محاولة للعثور على التأثيرات والتيارات التي مهّدت الطريق أمام الباحثين "الإسرائيليين" لاستخدام لغة الاستعمار ومصطلحاته بشكل عام ولغيرهم من الباحثين الذين أصبحوا مؤخراً أكثر استعداداً لاستخدام مفردات الاستعمار الاستيطاني وتطبيقها في وصفهم لما قامت به الصهيونية من مصادرة فلسطين.

في تلخيصه ظاهرة "المؤرخين الإسرائيليين الجدد"، يشير بيتربيرغ بحق إلى أنها لم تكن حقاً "جديدة"، وبالتأكيد لم تستخدم (ولا يمكنها حتى ادعاء استخدامها) منهجية جديدة. وفي واقع الأمر، يعتمد الجزء الأكبر من ذلك التاريخ الذي أطلق عليه الباحثون "الإسرائيليون" أنفسهم وصف "الجدد"، على التاريخ السياسي والعسكري التقليدي المستند حصرياً إلى مراجع أرشيفية. وفي نقده المفيد "لهذه المدرسة الجديدة"، يزعم بيتربيرغ أنه "من النادر أن يتم طرح السؤال المتعلق بالجانب المحدد من هذه المنهجية الجديدة في تدوين التاريخ الذي يمكن أن يشكّل تحدياً للصهيونية والدراسات الصهيونية." لكن ربما كان من الأدق أن تتم صياغة ذلك من خلال القول بأنه، باستثناء المؤرخين الفلسطينيين، فإن هذا السؤال لم يكن ليُطرح إلا فيما ندر، حيث نجد في إطار هذه الخانة من التاريخ وعملية التاريخ الفلسطيني أن الادعاءات التي طرحتها هذه المدرسة من التفكير (وتحديداً فيما يتعلق بتفاصيل حرب النكبة 1947-1949) تشكّل تفاصيل تمّت دراستها بشكل واسع على المستوى الفلسطيني فيما يتعلق بالتهجير وتشريد الفلسطينيين. [19] هنا، نرى مجدداً غياب الصوت الفلسطيني الذي يذكّر بعملية القضاء على الجسم الفلسطيني وحيث مفاعيل الاستعمار الاستيطاني الصهيوني على الأرض وفي الأبحاث والدراسات ما زالت قائمة. لعل الأمر المهم إبرازه هنا يتمثل في الموقعية المتعلقة بالموضوع العام لهذه الدراسة: الصوت "الإسرائيلي" أو المنظور الصهيوني الذي يتحدّى الرواية الأسطورية الصهيونية حول إنشاء الدولة وتشكيلها كان جديداً فقط بالنسبة للأشخاص الذين تجاهلوا الأصوات الفلسطينية والتي طالما كانت تكتب وتفكّر بنفس السياق والمعنى. ومن هنا تتجلى مقاربتان، على الأقل، فيما يتعلّق بكتابة التاريخ الفلسطيني: تقوم المقاربة الأولى على إسكات الأصوات الفلسطينية أو تجاهلها بشكل كامل والاعتماد على الأطر والمفاهيم الصهيونية، بينما تقوم المقاربة الثانية بكتابة التاريخ الفلسطيني وتصويبه وإحقاقه من خلال إعلاء التجارب الفلسطينية والسردية الأصلانية.

وقد وُظفت كتابات الفلسطينيين، على عكس المؤرخين "الجدد"، أدوات الدراسات الاستعمارية الاستيطانية ومفرداتها. إلا أن الجانب المسمى "جديداً" كان تلك الاستنتاجات التي تمّ التوصل إليها (منذ زمن طويل

من خلال العمل المثابر والدقيق للمؤرخين الفلسطينيين) فيما يتعلق بدوافع الصهيونية وخططها والمبنى الاستعماري-الاستيطاني، واعتُبر "جديداً" فقط لأولئك الذي اشتغلوا ضمن إطار عمل الصهيونية. هنا، يشير بيتربرغ مصيباً إلى "أن غياب التجديد المفاهيمي أو النقد الراديكالي يطغى على الاختلافات في الانتماءات السياسية والتصريحات العلمية الفائضة." [20] وعلى الرغم من الاحتفاء بهؤلاء المؤرخين، إلا أنه في ظل هذا النقد لهم، يبدو وكأن إطار التحليل القائم على أساس الاستعمار الاستيطاني يجب أن يتضمن كذلك قراءة للصمت بمعناه المادي من حيث الإقصاء للأصلائية بالإضافة إلى التغييب المتعمد للأصوات الأصلانية وقمعها. ولو أن هؤلاء المؤرخين، وكل من قام بتمجيدهم، قرأ أو تفاعل بشكل شامل مع المؤرخين الفلسطينيين (أو الأصوات الفلسطينية بشكل عام)، لتّم تنفيذ ادعاءاتهم "بالتجديد" إن لم يكن كشف زيفها تماماً. [21] لقد حققت أعمال هؤلاء المؤرخين مكانة "التجديد" وحظيت باهتمام سياسي وأكاديمي فقط بعد أن أسكتت أصوات الفلسطينيين وتجاهلتها.

أهمية الموقعية

هنا تحديداً، يمكننا، وكما فعل بيتربرغ، العودة إلى عمل باتريك وولف الذي تمنح كتاباته حول الاستعمار الاستيطاني ومساهماته في الحقل الأكاديمي، إلى جانب عمله المعمق والشامل من حيث استخدام عناصر المقارنة للاستعمار الاستيطاني، فرصة لمزيد من التحليل حول الآفاق والمحددات للاستعانة بالدراسات المنطوية على التحليل القائم على أساس الاستعمار الاستيطاني. وهنا، أود التركيز على كيف رأى وولف القصور في هذا العمل، وكيف فهم، بشكل واضح وبتواضع نادر، معنى الموقعية والتحليل بالنسبة للأصلائين الخاضعين لوحشية الاستعمار الاستيطاني.

قبل أشهر قليلة من وفاته المبكرة، زار وولف فلسطين وألقى محاضرات في عدد من المواقع الأصلانية بما فيها جامعة بيرزيت وفي مدى الكرمل-المركز العربي للأبحاث الاجتماعية التطبيقية في حيفا. وقد مهّد لمحاضراته بهذا الفهم الرئيسي لقضية الموقعية، موقعه هو كمستوطن أبيض في أستراليا وموقع أصحاب نظرية المقارنة بشكل عام، مع فهم واضح لما تنطوي عليه المعركة المستمرة ضد الاستيلاء والعنف الممارس من قبل الاستعمار الاستيطاني من نضال سياسي وأخلاقي. ومن الجدير بالذكر هنا أن وولف أدرك أن صوته هو صوت المستوطن مع كل ديناميات القوة التي تنطوي عليها تلك الحقيقة. [22] وبدلاً من اتخاذ موقف العارف بالأمور والذي يتفصّل على السكان الأصليين بنصائحه - فهم وولف دوره كشخص وباحث أكاديمي يقوم بشكل أساسي بتوثيق الاضطهاد، وقام كذلك وبوضوح بتحديد موقعه المعارض والمناقض بشكل مباشر للعنف الذي مارسه الاستعمار الاستيطاني تاريخياً ضد الشعوب الأصلية في المناطق الجغرافية العديدة.

وفي هذا السياق، لا بدّ من الإشارة إلى أنه ولغايات دراسة الأدبيات التاريخية المرتبطة بالاستعمار الاستيطاني، من المهم فهم دور الباحث في السياق الاستعماري الاستيطاني. وقد وصف وولف هذه العلاقة للباحث من خلال فهمه لقضية الموقعية في السياق الاستراتيجي، قائلاً: "عندما يصبح البقاء مرادفاً لمنع الانصهار والاستيعاب ضمن مجتمع المستعمر، لا يقتصر مفهوم الموقعية على كونه أساسياً في النقاش، بل يصبح هو القضية بحدّ ذاتها. ففي السياق الاستعماري الاستيطاني، يكون للسؤال المتعلّق بهوية المتحدث أهمية تتخطى تلك القضايا المتعلقة بالتكافؤ والحوار وإمكانية الوصول إلى الأوساط

الأكاديمية. تسهم ادعاءات المعرفة والمرجعية فيما يتعلق بالخطاب الأصلي والتي تنشأ من الوسط الأكاديمي للاستيطان الاستعماري بالضرورة في استمرار عملية سلب الفضاء الأصلي، فالغزو ليس حادثة منفصلة بل هو هيكلية وبنى قائمة." [23]

لقد أدرك وولف أن القوة في السياق الاستعماري الاستيطاني قد تمظهرت في أشكال مختلفة بما في ذلك في عالم الأكاديميا والأبحاث. وفي واقع الأمر، قام فيراتشيني نفسه بشرح الاختلاف بين منهجيته ومقاربتة للاستعمار الاستيطاني ومقاربة وولف قائلاً: "بساطة، ومن وجهة نظري، الاستعمار الاستيطاني يشبه رقصة الفالس الشهيرة، رقصة من ثلاث خطوات تتضمن المستوطنين والشعوب الأصلانية والأطراف الخارجية الأخرى. أما بالنسبة له (قاصداً وولف)، فالأمر أشبه برقصة سالسا تتضمن الشعوب الأصلانية وغير الأصلانية." [24] تمثل هذه العلاقة الثنائية الطريقة التي فهم بها وولف المجتمعات الاستيطانية قدر ما تتعلق بكيفية مقاومة هذه المجتمعات في الوقت ذاته، فهي تمثل تماماً السياسات والديناميات التي ينطوي عليها مفهوم الموقعية.

ولعل إدوارد سعيد كان سباقاً حين طرح في كتابه **الاستشراق** قضية أن الموقعية والمكان، بصفتيهما امتيازاً، هما جانبان أساسيان ليس في فهم الاستشراق بصفته مكوناً رئيسياً في إنتاج المعرفة فحسب، ولكن بطرحه أن إنتاج المعرفة في السياق الأوسع للحدثة من منظور أوروبي هو جزء من الأدبيات حول الاستعمار، والذي أصبح لاحقاً سؤالاً مركزياً في الأدبيات والكتابة حول مرحلة ما بعد الاستعمار. وكما يذكر وولف قراءه في مقدمته لكتاب **عقدة الاستعمار الاستيطاني: استعادة الثنائية في الدراسات الكولونيالية**، فإن "العوامل الكولونيالية الذاتية مرتبطة بشكل لا مفر منه بالفضاء الأوسع للسياسات الخاصة بالهوية وفي المحصلة بالاعتراض الشديد على التصنيف بموجب الموقعية، أي الاعتراض على التصنيف حول من هم المستوطنون ومن هم الآخرون جميعاً في المقابل؟" [25] إن التواجد المهيمن للمستوطنين على الأرض ينعكس، مرة أخرى، بالهيمنة التي يتضمنها تحديد المكان الأساسي للمستوطن في الكتابات العلمية والأدبيات. وبنفس الطريقة التي حاول فيها المستوطنون محو الوجود الأصلي على الأرض، فإن إطار التحليل الذي يهيمن عليه هذا المستوطن في مجال الدراسات والأبحاث هو أيضاً محاولة في الحط من قيمة التاريخ الأصلي للبلاد ولسكانها الأصليين تمهيداً لمحوه تماماً.

يبدو ذلك وكأنه السمة الرئيسية في سياق فهم الطروحات اللاحقة لولف نحو، وهنا اقتبس من كلماته، "استعادة الثنائية" في الدراسات الاستعمارية. هذه العلاقة بين الشعب الأصلي والمستوطنين هي علاقة بنيوية وهي مستندة إلى الثنائية القائمة دوماً في هذا الشرح بين من هو أصلي ومن هو مستوطن. ولهذه الغاية، يذكر وولف قراءه بأهمية "الحدود [...]" كوسيلة للحديث عن العملية التاريخية لغزو الأرض، أي النهب التراكمي الذي يقوم به أشخاص غرباء بشكل مستمر بحيث يتحقق تقدم ضد السكان الأصليين من أجل سلبهم مكانهم." [26] ومن خلال التركيز على الحدود، سواء كمفهوم أو كواقع عنيف، من المهم أن نحدد "الثنائية" الأساسية: المستوطن والأصلي. إن محاولة طمس وتشويش ذلك بأي طريقة، نظرية كانت أو سياسية، من شأنه أن يطمس وأن يبتعد تماماً ليس عن الواقع الوحشي المستمر للاستعمار الاستيطاني فحسب، بل يتعداه إلى محاولة إزالة الطابع السياسي عن الدراسات والأبحاث العلمية. وإن استخدام هذا التوضيح هو عمل أساسي في كتابة/ تصحيح التاريخ الفلسطيني.

وبالعودة مجدداً إلى وولف في استعراضه قضية تقليد ومحاكاة وعكس العنف الاستعماري الاستيطاني والعلاقة بين المستوطنين والسكان الأصليين في الكتابات والأبحاث العلمية، نتوقف عند مقولته: "إن من السذاجة، إن لم أقل من التواطؤ المتعمد، أن يقوم الخطاب الأكاديمي باختزال الادعاء بالتعددية الثقافية ليسمح بتدمير الأقطاب المتناقضة. وفي المقابل، فإن التعددية الثقافية تقرُّ بالقمع التاريخي من قبل سلطات الاستيطان للخصوصية الأصلانية فيما يسمّى بحقبة ما بعد العنصرية. كما رأينا، فإن تاريخ الحدود يثير السؤال حول متى يتم تخفيف الثنائية الكولونيالية أو جعلها تعددية، إن كان ذلك ممكناً أصلاً. لكن أولئك المنادين بالاستيعاب والتذويب والدمج لا تساورهم أية شكوك، فبدلاً من أن يسألوا فيما إذا كان ممكناً تخفيف الثنائية الأصلانية أو متى يمكن ذلك؟ فإنهم يريدون معرفة كيف يمكن تخفيفها في الوقت الحاضر. في هذه الحالة الاجتماعية الكلية، يتعلق الموضوع بجوهر السياسات الخاصة بالتمثيل الأكاديمي." [27]

الحدود، إذن، تُمثّل العنف المتواصل والمستمر من قبل بنى الاستعمار الاستيطاني. هنا، يصف وولف الحدود، من منظور ما يمكن اعتباره غزو الاستعمار الاستيطاني، على أنه المرحلة الأولية والتي يجب من خلالها قراءة المراحل اللاحقة. يقول: "عندما يتم الاعتراف بالغزو على أنه بنية قائمة بدلاً من اعتباره حدثاً منفصلاً، فإن تاريخ هذا الغزو لا يتوقف-أو بشكل أوضح يصبح غير ذي أهمية عندما يمضي مبتعداً عن حقبة حدود القتل." [28] بالنسبة لـ وولف، فإن الحالة الفلسطينية الحالية هي حالة نموذجية من حالات الاستعمار الاستيطاني الحدودي، "حيث ما زالت إسرائيل/فلسطين محصورة في وضع وحالة الحدود، حيث تتعايش مجموعة واسعة النطاق بشكل كبير من الوسائل والطرائق الاستعمارية الاستيطانية في الوقت ذاته." [29] وعضواً عن ثنائية النجاح/الهزيمة فإن فكرة الحدود الدائمة، كما يصفها وولف، هي الأساس في عقد المقارنة بين التجربة الأصلانية في فلسطين وتلك الموجودة في أماكن أخرى.

هنا، أنتقل إلى النقطة التي أودُّ طرحها وهي أنني لا أرى بأن الدراسات حول الاستعمار الاستيطاني غير مفيدة (حيث إنها مثمرة). ولكن في المقابل، فإن اللغة المرتبطة بالانتصار والفشل ليست أقل جدوى فحسب بل إنها تعطي امتيازاً وتفضيلاً لتاريخ المستوطنين ولرواياتهم التاريخية. وهي كذلك محدودة حتى في المفهوم السياسي إذ تنادي بنجاح المستوطنين و/أو فشلهم ضد مقاومة الشعب الأصلي. وبالتالي، وربما هنا تحديداً، يكون المفتاح لفهم الأمور بشكل أفضل، أي أن العنف الحدودي يتضمن كلاً من العنف المستوطنين والمقاومة الأصلانية.

من رؤية المستوطن إلى تدخل الأصليين

يعتبر هذا التوجُّه الفكري بخصوص الحدود حقلاً غنياً في مجال دراسات الاستعمار الاستيطاني، ولكنه، وكما هو الحال بالنسبة للتحليل القائم على أساس الاستعمار الاستيطاني، يعاني من محدوديته الخاصة. يجب أن تكون حالة الأصليين هي الإطار الخاص لكيفية قراءتنا للدراسات الخاصة بالاستعمار الاستيطاني. ووفقاً لجودي بيرد، فإن "أحد الأسئلة الدائمة حول أهمية الحدود، سواء بالنسبة للتاريخ الأمريكي أو العابر للقومية يكمن في القوة الذاتية والسلطة للشعوب الأصلانية للتدخل في أو التنظير بشكل مختلف لعنف الإمبراطورية." [30] وتواصل القول: "لعل أحد التحديات التي تواجه الدراسات الأصلانية في حوارها

مع الدراسات الخاصة بالاستعمار الاستيطاني وتاريخ الحدود يكمن في مقاومة المحاولة المستمرة لإعطاء الأولوية للأثر على حساب السبب، وأن يكون المستوطنون والحدود غير الأصلانية إطار التحليل الذي يتم من خلاله تقييم آثار الاستعمار. "[31] ومن هنا، يصبح السؤال: كيف يمكن للدراسات التي تستخدم التحليل القائم على أساس الاستعمار الاستيطاني أن تسهم في التحليل الأصلي دون أن تصبح محور التركيز في الرواية؟ بكلمات أخرى، كيف يمكن لحالة الأصلانية أن تستفيد من هذا التحليل دون أن يطغى عليها؟

وإذا عدنا بهذا النقاش إلى الوضع في فلسطين، فإن التعقيدات التي تنطوي عليها الأدبيات بما فيها الدراسات التي تختزل أو تتجنب أو حتى تنكر بشكل مباشر هذا التقسيم الأولي والمستمر بين الشعب الأصلي والمستعمر يجب أن تتم قراءتها كإنكار فاضح لتاريخ الشعب الأصلي والسيادة الأصلانية، لأنه كما يقترح وولف فإن الثنائية تنتج "قلق المستعمر" لأن الثنائية تشير إلى "عدم الاكتمال". [32] هذه الفكرة المتعلقة، بعدم الاكتمال الدائم، هي الأقرب والأساس لفهم التوظيف الأمثل للتحليل الخاص بالاستعمار الاستيطاني أكثر من حادثة أو منظومة هذا الاستعمار. ومن هذا المنطلق وهذا الفهم، لا يكون الاستعمار الاستيطاني مكتملاً أبداً. كما أن هذا المنظور ينتج خطوطاً لغوية وسياسية ملموسة بشكل أكبر من ناحية مقارنة التجارب الأصلانية. عندها يصبح السؤال، كما أشارت له بيرد ونوه له وولف نفسه: "كيف يمكن إذن أن يكون نقد الاستعمار الاستيطاني في محاولة للحفاظ على هذه الثنائية، دون تحويل الأصلانية كنتاج عكسي للغزو والانتصار، معتمداً بشكل دائم على مبادرة هذا الاستعمار؟ لقد تم بالفعل وعلى مدى التاريخ جعل الشعب الأصلي والمستعمرين معتمدين أحدهما على الآخر من خلال هذا الانتصار، تماماً كنموذج السيد والعبد الذي طرحه هيغل. ولكن بالإضافة إلى توصيف الماضي والحاضر، هل يحدد إدراكنا للاستمرارية البنيوية للاستعمار الاستيطاني المستقبل بشكل مسبق؟ هل من الممكن أن تؤدي عملية تفكيكنا الخطاب الاستيطاني فعلياً إلى إعادة بنائه وتشكيله؟" [33]

في محاولة دفاعه عن هذه الثنائية، التي حددها بوضوح، يكشف وولف ما يمكن أن نجده تحت السطح السياسي من حيث رفض الثنائية في المجتمعات الاستيطانية، قائلاً: "كشخص يطرح بأن الاستعمار الاستيطاني يقوم على منطق المحصلة الصفرية، بمعنى أن المجتمعات الاستيطانية ونظراً لكل تعقيداتها الداخلية تتطلب جميعها، بلا استثناء، القضاء على البدائل الأصلانية، فقد اتهمت بشكل متواتر بأنني أتبنى الثنائية، مع أن هذه الاتهامات لم يوجهها لي أي فرد من السكان الأصليين. إذن، لماذا لا يزج شبح هذه الثنائية السكان الأصليين بينما هو يزج ويثير حساسية غير الأصليين إلى حد كبير؟" [34]

في نقدهما المعروف للاستعمار الاستيطاني بوصفه تشكيلاً سياسياً محدداً، تؤطر كل من أيسا ماكون وإليزابيث ستراكوش نقاشهما على نحو مماثل مع التأكيد على مسألة الموقعية: "بينما قد تكون هذه الحركة مدفوعة بـ ومتعاطفة مع التطورات الكبرى في النظرية النقدية والحراك العالمي للسكان الأصليين، تظل نظرية الاستعمار الاستيطاني، إلى حد كبير، محاولة بيضاء لفهم [والتفكير في ومن خلال] العلاقات الاستعمارية المعاصرة." [35]

ويمكن ترجمة هذا الانشغال في المشهد الفلسطيني باعتباره اتجاهاً سياسياً وأخلاقياً ومعرفياً، ومن خلال قراءة مماثلة لزمينة الاستعمار الاستيطاني. وبالنظر لإمكانية نظرية الاستعمار الاستيطاني في تعطيل

الزمنيّات الاستيطانية وزعزعتها، يمكن ربط ذلك أيضاً بمفهوم النهايات، إذ يسعى الاستعمار الاستيطاني إلى تحقيق الانتصار من خلال القضاء على السكان الأصليين، لكنه، من هذا المنظور، لن ينتصر مطلقاً. [36] وبإمكان تمييز هذه الفوارق المساهمة في فهم القواسم المشتركة بين السكان الأصليين.

نحو نقد أصلاي للاستعمار الاستيطاني

في ورقة موقف بعنوان "دراسات الاستعمار الاستيطاني ودراسات السكان الأمريكيين الأصليين والأصلاية"، يدرس روبرت وورير ظاهرة انتشار الجلسات المتعلقة بدراسات الاستعمار الاستيطاني بشكل يزيد بكثير على الدراسات التي تركّز على السكان الأصليين في أمريكا والدراسات الأصلاية ضمن سياق جمعية الدراسات الأمريكية. [37] يعيب وورير على بعض الباحثين في مجال الدراسات الأمريكية اعتبارهم دراسات الاستعمار الاستيطاني على أنها المرادف للدراسات الخاصة بالسكان الأصليين والأصلاية وأنها تعني الشيء ذاته. ومن هنا، يجادل وورير بأن التركيز على الاستعمار الاستيطاني يعطي امتيازاً لموقع المستوطن، ويخدم أهداف التشويش وحجب الدراسات الأصلاية التي تركز على صمود الشعوب الأصلاية بما في ذلك معرفتهم وسيادتهم ومقاومتهم. ومن ثم، يعطي وورير الفرصة لإعادة مواءمة فهمنا للاستعمار الاستيطاني من خلال الإطار الأصلاي، وبذلك يضع التحليل على مسار سياسي ومعرفي وتأريخي بحيث لا يشكّل عقبة أمام الأصوات الأصلاية، ويرفض إعادة أصواتهم وإعادة تمترسهم حسب رواية المستوطن.

وكما يبيّن وورير في كتاباته، "بالنسبة للكثيرين ممن يهتمون بالدراسات الأصلاية، فإن إحدى القيم الأساسية، من ناحية علمية وأكاديمية، تتمثل في إعطاء الاعتبار والتفضيل للتاريخ الأصلاي المحلي، وبناء روابط وصلات بين هذا الشكل من المحلية والتاريخ وتجربة الشعوب الأصلاية الأخرى." [38] هذا، وي طرح وورير بشكل متسق أسئلة تقع في صلب الإنتاج المعرفي الفكري للأصلاية. ففي حديثه عن التفاصيل المتعلقة بالفضاء الفكري والثقافي والسياسي للدراسات الأمريكية، يعبّر وورير عن قلق متزايد حيال أثر دراسات الاستعمار الاستيطاني على الدراسات الأصلاية. ويتمثل التحدي بالنسبة لوورير في التفكير "بالسياق الذي يتم فيه وضع النظريات." وعلى الرغم من أن وورير درس هذه الأسئلة على مدى عقود من العمل ضمن عمله والتزامه مع جمعية الدراسات الأمريكية، إلا أنني أرى أن هذا القلق الذي يعبّر عنه يحاكي بشكل مباشر أشكالاً أخرى من القلق عند الحديث عن كتابة/ تصحيح السرديات الفلسطينية. لقد أفضت التحديات التي تطرق لها وورير وعالجها إلى إنشاء جمعية دراسات الأمريكيين الأصليين والدراسات الأصلاية (NAISA) بشكل مشترك وذلك بهدف إيجاد فضاء يرتقي بالأصوات الأصلاية ويوفّر سياقاً سياسياً وأكاديمياً يوضع داخله التفكير الأصلاي. [39] ولعل وجود الأصوات والسياقات الفلسطينية كجزء من الاجتماع السنوي لجمعية دراسات السكان الأمريكيين الأصليين والدراسات الأصلاية بشكل دوري منذ تأسيسه هو برهان ساطع على الصلات والتقاطعات ضمن إطار الدراسات الأصلاية كمنهج علمي ومنهجية. [40]

وفي إطار السعي لفهم الآثار والنتائج المنهجية المترتبة على الدراسات الأصلاية، ينادي وورير بما يسميه "السيادة الفكرية." ففي كتابه أسرار قبلية، يدسّن وورير خطأ واضحاً من التفكير يمكننا من خلاله أن نرى كيفية توظيف تحليل الاستعمار الاستيطاني ضمن الإطار الأوسع للسيادة الأصلاية، [41] وهو الإطار الذي تم إرساؤه بوضوح في الفصل الثالث تحت عنوان "السيادة الفكرية والنضال من أجل مستقبل أمريكي

هندي." هنا، يجادل وورير بأن "سيرورة السيادة تعطينا وسيلة لتخيّل العمل الذي نقوم به." وبالتالي، فإنها تعطينا إطار عمل محتملاً يأخذ بعين الاعتبار دراسات الاستعمار الاستيطاني، والتحليل المرتبط بها، وثنائية الشعب الأصلي/ المستوطن كواحدة من نقاط انطلاق عديدة في السعي الأوسع نحو إنتاج المعرفة الأصلانية.

إن دعوة وورير تحدد مساراً لعمل فكري بدافع سياسي، إذ إن "ما هو مهم وأساسي بالنسبة للمفكرين الأمريكيين الهنود الملتزمين بقضية السيادة، يتمثل في إدراك أننا نحن أيضاً يجب أن نناضل من أجل السيادة، السيادة الفكرية، والسماح لتعريف هذا المفهوم والتعبير عنه أن ينشأ ويتجلى من خلال تفكيرنا النقدي حول هذا النضال." [42] ومن خلال تحليله لعملية إنتاج الأدب النقدي، يشير وورير إلى أن النقد يظلّ المساحة المخصصة لغير الأصليين، إذ هناك عدد متزايد من المفكرين الأمريكيين الهنود ممن يدركون بأن الأمريكيين الهنود يجب أن يقوموا بإنتاج الفكر النقدي إلى جانب الأدب حتى لا تتحول أعمال الشعراء والأدباء الأصليين إلى مجرد جزء آخر من الوجود الأمريكي الهندي الذي يجب أن يتم تشريحه وتقاسمه بين 'الخبراء' البيض." [43]

في هذا السياق، يطوّر وورير أطر عمل ومنهجية، مختلفة عن سياسات الهوية الليبرالية، باستطاعتها تمكين الفلسطينيين من كتابة/ تصحيح التاريخ بصفته تاريخاً متحرراً من أطر الهيمنة التي طالما حصرت الأصوات الأصلانية لفلسطين لتكون استجابة في أفضل الأحوال أو تواطؤاً في أسوأها مع الأيديولوجية المهيمنة للاستعمار الاستيطاني الصهيوني. يقول وورير "من شأن السيادة الفكرية، كما عرّفتها، أن توفّر [...] طريقة للإقرار بالتأثيرات المهمة للاقتصاد والنوع الاجتماعي والسياسات المتعلقة بالنشر والأكاديميا، ولكنها لا تلغي بشكل تلقائي شخصاً ما بسبب هذه التأثيرات [...]. لكن ومن هنا، علينا أن نتخطى عملية تحديد الفئات وأن نخرط في عملية استكشاف دقيقة حول الكيفية التي تقوم بها هذه الفئات بالتأثير على عملية السيادة. ومن خلال ذلك، يتوجب علينا ألا نكتفي بالسؤال عن الكيفية التي تقوم بها الفئات الاقتصادية المناهضة للكلونيالية بتوصيف تجربة الأمريكيين الهنود، بل أن نطرح كذلك السؤال عن كيفية الامتناع عن القيام بذلك. علينا أيضاً أن نطرح أسئلة حول الكيفية التي انحصرت فيها هذا النقد في الحالات والتجارب ما بعد الكولونيالية." [44]

إن هذه الدعوة التي يطلقها وورير يمكن أن تنطبق على الأدب عن فلسطين وحولها والذي ما زال متأثراً بشكل عميق بهيمنة الأطر الصهيونية. وحتى في أفضل حالاته، فإن التاريخ حول فلسطين ما زال في الأغلب عالقاً في المتاهة الفكرية لمناهضة الأيديولوجية الصهيونية ومحاولة الحصول على إذن لمخاطبة الفلسطينيين والتحدث إليهم عن عنف الصهيونية. إن دعوة وورير، بلا شك، هي دعوة سياسية للمقاومة من خلال التحرك نحو السيادة الفكرية كإطار عمل من أجل تذكر التاريخ وكتابته كشعب يخضع للقمع والاضطهاد، ما يتصادى مع قول وورير: "إن كان نضالنا شيئاً فهو في الأساس نضال من أجل السيادة، وإن كانت السيادة شيئاً فهي في الأساس أسلوب حياة. أسلوب الحياة هذا ليس قضية متعلّقة بتعريف الإيديولوجية السياسية أو الانخراط في نقاش منفصل حول الجوهر والبنى التي توحد تقاليد الأمريكيين الهنود وتجمعها. إنها قرار، قرار نتخذه في عقولنا وقلوبنا وأجسادنا بأن نكون أصحاب سيادة، وأن نكتشف ما يعنيه ذلك في العملية [...] إن ممارسة ذلك تقودنا إلى الحياة في مواجهة الموت، وتعلّمنا بأن المعرفة التي نملكها لا تستطيع أبداً أن تتنبأ بالمستقبل ولا أن توقف الماضي. وبالتالي، فإن قيمة عملنا تتجلى في النضال المستمر لفهم ما يمكننا القيام به بدلاً من أن نقول للناس ما يتوجب عليهم القيام به. وتاماً كما هو الحال مع الإنسان الثوري أو الشخص الذي يحرك الناس على المستوى القاعدي، نحن موجودون في حياة هذا الشعب، وعملنا ينمو

وينشأ من نفس البيئة مثلهم." [45] لقد تفاعل الكثير من الباحثين مع هذه الدعوة بأشكالها المباشرة وغير المباشرة. [46] ويظل سؤالنا، هنا في هذه الدراسة: هل يمكن لعملية التأريخ، أو ربما بعبارة أدق، للمؤرخين في فلسطين التحرك نحو إطار السيادة الفكرية الأصلانية وكتابة/ تصحيح التاريخ الفلسطيني؟

خاتمة: عودة لفلسطين من منظور السيادة الفكرية الأصلانية

إن تقدير الطبيعة الحقيقية للتأريخ والأدب حول فلسطين مهم من أجل تطوير تاريخ البلاد يتسم بأنه أكثر عضوية وتناغماً. في مساهمتها "بنية لا حدث: الاستعمار الاستيطاني والأصلانية الباقية" تستطرد ج. كاهولاني كوانووي في النقاش حول أسئلة وورير والتحدي الذي يطرحه من خلال تفصيلها كيف يمكن لدراسات الاستعمار الاستيطاني أن تسمح وبسهولة بسوء استخدام محتمل لها عندما تغفل الحالة الأصلانية وتبقيها خارج إطار البحث. [47] وتصرّ كوانووي بأن الاستعمار الاستيطاني كإطار تحليلي يجب أن يكون قائماً من حيث علاقته بالأصلانية. وهنا، أود أن أقترح بأن هذا الفهم للحالة الأصلانية يمكنه أن يساعد في فهم الكيفية التي تحجب فيها الأطر الصهيونية الروايات الفلسطينية بشكل متواصل. إن خطر هذا الحجب قائم باستمرار حتى وإن لم تكن تلك نيّة دراسات الاستعمار الاستيطاني. وبنفس الطريقة، طرحت جين أوبراين سؤالاً أساسياً حول الآثار غير المقصودة المتعلقة بإطار تحليل دراسات الاستعمار الاستيطاني. وعلى الرغم من كل ما تمّ تقديمه من أجل فهم منطوق المحو في إطار تحليل دراسات الاستعمار الاستيطاني، تحدثت أوبراين عن قلقها بأن يسقط الصوت والسردية الأصلانية من الرواية. [48] لقد انشغلت أوبراين، كما هو حال آخرين غيرها، بفكرة أنه وبالرغم من أهمية هذا التحليل إلا أنه لم يقدم سوى النزر اليسير من حيث فهم تاريخ المقاومة الأصلانية.

هنا، أقترح أهمية استحضار النقاش حول الاستعمار الاستيطاني بعلاقته مع دراسات الأمريكيين الأصليين والدراسات الأصلانية ضمن النقاش المتعلق بالاستعمار الاستيطاني الصهيوني لفلسطين. ولعل كتابات ستيفن سلايطة وأعماله في هذا السياق هي الأقرب لتشكيل هذه الصلة هنا، فهو، على سبيل المثال، يفهم أو يعرف "الأصلانية" بكونها صانفة سياسية. وينطلق سلايطة من نقطة مقارنة ولكنها تركز على الأصوات الأصلانية ليس كأصوات مكتملة للرواية الاستعمارية، بل بصفتها على طرف النقيض السياسي المباشر لها. ولعل مشروع البحث ما هو إلا صرخة سياسية تجبر القارئ على فهم الأصلانية باعتبارها رابطاً واضحاً وصريحاً يجمع بين جغرافية أمريكا الشمالية وجغرافية فلسطين.

لقد ركّز سلايطة، ملبياً دعوة وورير، على كيفية كتابة فلسطين وروايتها ضمن سياق الدراسات الأصلانية. فهو يربط بين المرتكزات الأخلاقية للدراسات الأصلانية سبيلاً للعمل الثقافي المتبادل بين دراسات الأمريكيين الأصليين والدراسات الفلسطينية. [49] لا يتحدى هذا المشروع الامتياز التقليدي للمستوطن فحسب بل يتخطى ذلك إلى المنهجية التي تقارب بها الدراسات والأبحاث كشكل من أشكال الحراك ضمن إطارنا الأخلاقي. يمكن اعتبار الصلات الثقافية التي يدرسها سلايطة مقارنة قائمة على أساس الأصلانية والتي لها قضية سياسية مشتركة ألا وهي قضية تقرير المصير والتحرر. تتمثل العلاقة المشتركة بين الدراسات الأصلانية والأمريكية وبين الدراسات حول فلسطين والشرق الأوسط في "مقاومة المجموعتين للنماذج التصنيفية التقليدية في إنتاج المعرفة والأبحاث" حيث "تنشأ المقاومة

في الغالب من الموقف الأخلاقي المبدئي الذي يناهز ضرورة إجراء الدراسات الأصلانية من بين ظهري جغرافيات تقرير المصير. [50] فالمشروع البحثي الدراسي هو مشروع سياسي ينشأ من فضاء جماعي. وبالتالي، وكما عبّر سلايطة بلاغة، "لا أستطيع أن أفكر بمجموعتين أكثر ملاءمة لبعضها البعض من الأمريكيين الأصليين والفلسطينيين ليخاطبوا التاريخ مجدداً سوية." [51]

يمكننا من خلال التركيز على الأصوات الأصلانية أن نجد مقاومة للأطر الاستعمارية الاستيطانية، ومن خلال التعبير الواضح عن هذه المقاومة، يمكن تقديم قراءة أصلانية للاستعمار الاستيطاني. في كتابه قلب الحمار يصرخ عبد الرحيم الشيخ ببلاغة جرأة الحياة في ظل العنف الاستيطاني الوحشي وعيبتها المحضة. [52] وبأسلوب الكتابة الفريد الخاص به، يجد الشيخ طريقة لإنتاج سردية معاكسة لحياة مجرم الحرب أريئيل شارون ويسخر بلغته الجميلة من أولئك الذين يعتمدون على القانون الكولونيالي لتحقيق العدالة للفلسطينيين. وعلى الرغم من أن الشيخ ليس مؤرخاً بالمعنى التقليدي، لكنه يدرك بوضوح بأن السعي إلى تحقيق العدالة ضمن أطر المستوطن (حتى تلك المعرفية والبحثية) هو جهد محكوم بالعبثية والضياع سدى بالنسبة للفلسطينيين. يكتب الشيخ، بصفته أحد الباحثين الأصلانيين، في إشارة لجرائم شارون، صارخاً نحو السماء وكأن التنكر للعدالة لم يكن كافياً، حتى إنه كان من الضروري طمس غيابنا نفسه. [53] وبما أن الكثير من أدب المستوطن الصهيوني كان جزءاً من الأطر القانونية الملطخة للحدثة الاستعمارية، فإن الشيخ يقلب الطاولة على المستوطن ويتصوّر محاكمة خيالية يخضع فيها شارون نفسه، بحسب ما كتبه الشيخ، للمحاكمة. إن عالم الأسطورة والخرافة والغرابة هو ملجأ الأصوات الأصلانية، ولكن الشيخ، ومن خلال نظمه اللغوي والنظري، يعطينا فهماً لما تعنيه الأصلانية بالنسبة للفلسطينيين. يتساءل الشيخ: كيف، وما هو شكل العدالة التي يمكن تحقيقها عندما يحدد المجرم ماهية الجريمة التي ارتكبتها؟ فقط من خلال قلم باحث فلسطيني أصلاحي يمكن لمثل هذا الإطار أن يمنحنا رؤية من الداخل للكيفية التي تعبر فيها الأصوات الفلسطينية بحرية، وكيف لهذه الأصوات أن تكون متحررة فعلياً من أطر الاستعمار الاستيطاني. [54]

وللكتابة بصوت فلسطيني كما هو الحال مع الشيخ، لا بد من الإصغاء إلى أصوات الفلسطينيين. في نهاية التسعينيات، ظهرت روزماري صايغ في مقابلة تحدثت خلالها عن تاريخ مسيرتها المهنية، وعقبت خلالها على قوة الأصوات. وقد كشفت خلال المقابلة شيئاً ربما اختبره وعائشه كل أبناء جيلها، وهو أنهم كانوا يكتبون عن فلسطين والفلسطينيين، يروون قصة لا يضعون نظريات. [55] في الواقع، تحدثت صايغ بوضوح عندما قالت إننا نروي التاريخ الأصلي. وعندما سئلت حول ذلك، قالت: إن النساء هن أفضل من يروي القصص. ومن المعروف طبعاً بأن صايغ استخدمت كلمة "محو" في بداية السبعينيات، سابقة بذلك، وبفترة طويلة، الموجة الحديثة من الاهتمام بدراسات الاستعمار الاستيطاني في فلسطين. [56] لكننا لسنا بصدد مسابقة تنافسية، لأن القضية هنا متعلقة بالأطر وكيفية توظيفها نحو الارتقاء بالمعرفة والدراسات الأصلانية وتعزيز السيادة الفكرية الأصلانية.

ولعل بإمكاننا أن نجد المثال الأبرز والأكثر جدوى لذلك في العمل الاستثنائي لفايز صايغ والذي أشرت إليه في بداية هذه الدراسة. لقد نشر صايغ كتابه الاستعمار الاستيطاني في فلسطين في العام 1965،

حيث بدأ أن الرسالة السياسية كانت أوضح في أذهان الناس حينها. وهنا يتوجب علينا أن نطرح السؤال: لماذا كانت أطر التحليل الخاصة بدراسات الكولونيالية بوضوح جزءاً من برنامج سياسي للسيادة الفكرية الأصلانية آنذاك؟ ولماذا تمّ دفن هذه الرسالة السياسية وطمسها في السواد الأعظم من الكتابات حول الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في التاريخ الفلسطيني على امتداد العقد الماضي؟

لعلّ الإجابة على هذا السؤال ربما تكمن في أن الأصوات الأصلانية القوية هي أصوات تمثّل برنامجاً سياسياً وأخلاقياً ومعرفياً، حيث الأصلانية هي صناعية سياسية. وكما هو الحال مع الدراسات الأصلانية في أي مكان آخر، فإن الدراسات الأصلانية الفلسطينية تتمحور حول الروايات والسرديات الفلسطينية عن المقاومة للقوى الإمبريالية وقوى الاستعمار الاستيطاني. فعلى سبيل المثال، ومن خلال عملي الحالي حول تاريخ النكبة الفلسطينية، أدركت طرق استخدام ما يعنيه فهم ممارسات الاستعمار الاستيطاني من حيث المحو والتدمير ومحدوديته في الوقت ذاته.

إن رواية النكبة هي رواية متعلقة بالنهايات إن تمّت كتابتها خارج إطار المقاومة الأصلانية، فهي قصة إبداع شعب من اللاجئين وذكري حول فلسطين التي كانت، بدلاً من أن تكون قصة يتم تطهيرها حول عودة اللاجئين والمقاومة الفلسطينية. يعتبر التحليل المستخدم في دراسات الاستعمار الاستيطاني أساسياً هنا لفهم ذلك (فهم "أن الغزو بنية قائمة وليس حدثاً منفصلاً" وهو الأمر الذي طالما فهمه الفلسطينيون بصفته النكبة المستمرة)، ولكنه ليس محور التركيز الأساسي في هذا المقام. هنا تماماً يكمن ذلك الفرق بين سردية المستوطن والسردية الأصلانية، الأمر الذي يتعدّى كونه متعلقاً بالجمهور المستهدف، فإن كانت دراسات الاستعمار الاستيطاني متعلقة بالنجاح والفشل، فإنها سردية المستوطن. ولكن إن كانت متعلقة بالسيادة الأصلانية، أي تركز على مقاومة الفلسطينيين وصمودهم، عندها يكون أي تحليل للاستعمار الاستيطاني قائماً ضمن هذا الإطار

الإحالات

[1] Fayez A. Sayegh, *Zionist Colonialism in Palestine* (Beirut: Palestinian Liberation Organization, Research Center, 1965).

[2] بينما تطول القائمة، إلا أنها تعكس مجموعة مختارة من بعض الأعمال التي ناقشها هذا المقال: David Lloyd, "Settler-Colonialism and the State of Exception: The Example of Palestine/Israel," *Settler-Colonial Studies*, Vol. 2, No. 1: 59-80; Mahmud Mamdani, "Settler-Colonialism Then and Now," *Critical Inquiry*, Vol. 41, No. 3 (2015): 596-614; Nadim Rouhana and Areej Sabbagh-Khoury, "Settler-Colonial Citizenship: Conceptualizing the Relationship between Israel and Its Palestinian Citizens," *Settler Colonial Studies*, Vol. 5, No. 3 (2014): 205-25; Nadim Rouhana, "Homeland Nationalism and Guarding Dignity in a Settler-Colonial Context: The Palestinian Citizens of Israel Reclaim their Homeland," *Borderlands*, Vol. 14, No. 1 (2015): 1-37; Neve Gordon and Moriel Ram, "Ethnic Cleansing and the Formation of Settler Colonial Geographies," *Political Geography*, Vol. 53 (2016): 20-29;

Magid Shihade, "Not Just a Picnic: Settler Colonialism, Mobility, and Identity among Palestinians in Israel," *Biography*, Vol. 37, No. 2 (2014): 451-473; Patrick Wolfe, "Purchase by Other Means: The Palestinian Nakba and Zionism's Conquest of Economic," *Settler Colonial Studies*, Vol.2, No.1 (2012): 133-171; Patrick Wolfe, "Settler Colonialism and the Elimination of the Native," *Journal of Genocide Studies*, Vol. 8, No. 4 (2006): 387-409; Lorenzo Veracini, "The Other Shift: Settler Colonialism, Israel and the Occupation," *Journal of Palestine Studies*, Vol. 42, No.2 (2013): 26-42.

[3] للاطلاع على مراجعة حديثة لهذا الاتجاه النقدي، انظر:

Brenna Bhandar and Rafeef Ziada, "Acts and Omissions: Framing Settler Colonialism in Palestine Studies," *Jadaliyya*, 14 January 2016, accessed January 14, 2016.

<http://www.jadaliyya.com/pages/index/23569/acts-and-omissions-framing-settler-colonialism-in>

See also: Walid Salem, "Jerusalem: Reconsidering the Settler Colonial Analysis," *Palestine-Israel Journal of Politics, Economics, and Culture*, Vol. 21, No. 4 (2016): 21-27.

[4] Lorenzo Veracini, "What Can Settler Colonial Studies Offer to an Interpretation of the Conflict in Israel-Palestine," *Settler Colonial Studies*, Vol. 3, No. 3 (2015): 268.

[5] يستخدم وولف مصطلح "split tensing" (الماضي والحاضر في آن معاً): "كانت المستعمرات الاستيطانية (ولا تزال) تقوم على إقصاء المجتمعات الأصلية. فالمستعمرون يأتون ليبقوا- الغزو بنية وليس حدثاً." Patrick Wolfe, *Settler Colonialism and the Transformation of Anthropology: The Politics and Poetics of an Ethnographic Event* (New York: Cassell, 1999), 2.

[6] تُعدُّ نصوص فيراتشيني (2010) وباتريك وولف (1999) تأسيسية للقراءة حول الاستعمار الاستيطاني.

[7] Lorenzo Veracini, "The Other Shift: Settler Colonialism, Israel and The Occupation," *Journal of Palestine Studies*, Vol. 42, No. 2 (2013): 26-42.

[8] Ibid., 27.

[9] Ibid., 29.

[10] Ibid., 28.

[11] يستكشف رائف زريك طريقة مختلفة لمعالجة هذه المسألة:

Raef Zreik, "When Does a Settler Become a Native?" *Constellations*, Vol. 23, No.3 (2016): 351-64.

[12] Rouhana and Sabbagh-Khoury, op.cit., 205-25.

[13] Rouhana, "Homeland Nationalism..." op.cit., 1 .

[14] Mamdani, "Settler-Colonialism Then and Now," op.cit., 3.

[15] كأحد الأمثلة على هذا الاستجواب للتاريخ، انظر تحليل أوبراين، الذي يُظهر بشكل جميل التعقيدات التي

ينطوي عليها المخيال التاريخي ودوره في الإقصاء، بما يتجاوز المواجهة الدموية لعنف الحدود:

Jean O'Brien, *Firsting and Lasting: Writing Indians Out of Existence in New England* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 2010).

[16] Mahmood Mamdani, "When Does a Settler Become Native? Reflections of the Colonial Roots of Citizenship in Equatorial and South Africa," Inaugural Lecture, Center of African Studies, University of Cape Town, 13 May 1998.

<http://citizenshiprightsafrika.org/wp-content/uploads/1998/05/mamdani-1998-inaugural-lecture.pdf>.

Accessed 1 January 2017. See also: Mahmood Mamdani, *Citizen and Subject: Contemporary Africa and the Legacy of Late Colonialism* (Princeton University Press, 1996).

[17] Mamdani, "Settler Colonialism: Then and Now," op.cit., 611.

[18] Gabriel Piterberg, "Israeli Sociology' Young Hegelian: Gershon Shafir and the Settler-Colonial Framework," *Journal of Palestine Studies*, Vol. 44, No. 3 (2015): 17-38.

[19] تطول هذه القائمة من العناوين، ولكن للاستزادة يمكن الاطلاع على أعمال وليد الخالدي ونور مصالحة، على سبيل المثال: Nur Masalha, *Expulsion of the Palestinians: The Concept of 'Transfer' in Zionist Political Thought 1882-1948* (Washington: Institute for Palestine Studies, 1992); Nur Masalha, *A Land Without a People: Israel, Transfer, and the Palestinians 1949-1996* (London: Faber and Faber, 1997); Nur Masalha, *Imperial Israel and the Palestinians: The Politics of Expansion* (London: Pluto Press, 2000); Nur Masalha, *The Politics of Denial: Israel and the Palestinian Refugee Population* (London: Pluto Press, 2003); Nur Masalha, *The Palestinian Nakba: Decolonizing History, Narrating the Subaltern, Reclaiming Memory* (London: Zed Books, 2012); Walid Khalidi, ed., *All That Remains: The Palestinian Occupied and Depopulated by Israel in 1948* (Washington: Institute of Palestinian Studies, 2006); Walid Khalidi ed., *From Haven to Conquest: Readings in Zionism and the Palestinian Problem Until 1948* (Washington: Institute of Palestinian Studies, 1997).

[20] Gabriel Piterberg, op.cit., 19.

[21] كما فعل المؤرخون الفلسطينيون باستمرار (انظر مصالحة).

[22] هذه النقطة (الموقعية وامتياز المستوطن) كانت ولا تزال مفتاحاً لكيفية بناء أخلاقيات مناهضة الاستعمار الاستيطاني. انظر:

Corey Snelgrove, Rita Kaur Dhamoon, and Jeff Corntassel, "Unsettling Settler Colonialism: The Discourse and Politics of Settlers, and Solidarity with Indigenous Nations," *Decolonization: Indigeneity, Education & Society*, Vol. 3, No. 2 (2014): 1-32.

[23] Wolfe, *Settler Colonialism...* op.cit., 3.

[24] Lorenzo Veracini, "Patrick Wolfe Dialectics," *Aboriginal History*, No. 40 (2016): 249-250.

[25] Wolfe, *The Settler Colonial Complex*, op.cit, 5.

[26] Patrick Wolfe, "Introduction," in *The Settler Complex: Recuperating Binarism in Colonial Studies*, ed. Patrick Wolfe (Los Angeles: American Indian Studies Center, UCLA, 2016), 1.

[27] Wolfe, *The Settler Colonial Complex*, op.cit, 5.

[28] Wolfe, *Settler Colonialism...* op.cit., 402.

[29] Wolfe, "Recuperating Binarism," op.cit., 270.

[30] Jodi A. Byrd, "Follow the Typical Signs: Settler Sovereignty and its Discontents" *Settler Colonial Studies*, Vol. 4, No. 2 (2014): 151.

[31] Ibid., 153.

[32] Patrick Wolfe, "Recuperating Binarism: A Heretical Introduction," *Settler Colonial Studies*, Vol. 3, No. 3-4 (2013): 257-279, 259.

[33] Ibid., 274.

[34] Ibid., 257.

[35] Alissa Macoun and Elizabeth Strakosch, "The Ethical Demands of Settler-Colonial Theory," *Settler Colonial Studies*, Vol. 3, No. 3-4 (2013): 426-443.

[36] Ibid., 434.

[37] The roundtable where Warrior presented this paper also included Vicente M. Diaz, Glen Coulthard and Kehaulani Kauanui.

[38] ممتنة لـ"روبرت وورير" لتزويدي بنسخة من العرض الذي قدّمه في مؤتمر الجمعية الأمريكية للدراسات (ASA) في العام 2015؛

Robert Warrior (Osage), "Settler Colonial Studies and Native American and Indigenous Studies: A Position Paper."

[39] انطلقت جمعية دراسات الأمريكيين الأصليين والدراسات الأصلانية (NAISA) خلال مؤتمر دولي في العام 2007، وعقدت مؤتمرها التأسيسي في العام 2008 واجتماعها السنوي الأول في عام 2009. انظر: <http://www.naisa.org/about-naisa.html>.

[40] تمّ تقديم ما لا يقل عن عشر أوراق بحثية وجلسات نقاشية في جمعية (NAISA) منذ عام 2009 حول فلسطين أو بما يشملها كموضوع.

[41] Robert Allen Warrior, *Tribal Secrets: Vine Deloria, John Joseph Mathews, and the Recovery of American Indian Intellectual* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1994).

[42] Warrior, "Intellectual Sovereignty and the Struggle for an American Indian Future," 6.

[43] Ibid., 9.

[44] Ibid., 11.

[45] Ibid., 18.

[46] انظر مثلاً:

Elvira Pulitano, *Towards a Native American Critical Theory* (Lincoln: University of Nebraska Press, 2003).

[47] J. Kehaulani Kauanui, "A Structure, Not an Event': Settler Colonialism and Enduring Indigeneity," *Lateral*, Vol. 5, No. 1 (2016).

[48] Jean O'Brien, "Tracing Settler Colonialism in Eliminator Logic in Traces of History," *American Studies Association Annual Meeting*, November 2016, Accessed 15 February, 2017. https://www.youtube.com/watch?v=vA80wkmZ_kQ

[49] Steven Slaita, *Inter/Nationalism: Decolonizing Native America and Palestine* (Minneapolis: University of Minnesota, 2016).

[50] Steven Slaita, "'The Ethics of Intercultural Approaches to Indigenous Studies': Conjoining Natives and Palestinians in Context," *International Journal of Critical Indigenous Studies*, Vol. 1, No. 1 (2008): 8.

[51] Ibid., 11.

[52] عبدالرحيم الشيخ، قلب الحمار: شارون بين مجاز المحكمة ومحكمة المجاز (البيرة: بيت الشعر، 2007).

[53] المصدر نفسه.

[54] للمزيد حول الثقافة الفلسطينية في سياق الاستعمار الاستيطاني، وعلى نماذج التحرر الفلسطيني الثقافي منه، انظر: عبد الرحيم الشيخ، "الهوية الثقافية الفلسطينية: 'المثال' و'التمثيل' و'التماثل'،" في *التجمعات الفلسطينية وتمثلاتها ومستقبل القضية الفلسطينية - سلسلة وقائع المؤتمر السنوي الثاني* (رام الله: مسارات: المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية، 2013)، 69-143.

[55] Rosemary Sayigh, "Palestinian Camp Women as Tellers of History," *Journal of Palestinian Studies*, Vol. 27, No. 2 (1998): 42-58.

[56] Rosemary Sayigh, *The Palestinians: From Peasants to Revolutionaries* (London: Zed, 2007).